• نشرت في **قضايا النهار**، جريدة النهار اليومية اللبنانية، 13 أيار، 1998

طلاب علم النفس ... من أنتم ؟
محاولة أوّلية لرسم طيف المنتسبين الجدد إلى قسم علم النفس في الجامعة اللبنانيّة (الفرع الأوّل)

عزّة شرارة بيضون

يجتاح قسم علم النفس في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية أعداد وفيرة من الطلاب والطالبات في السنتين الأخيرتين، إذ اقترب عدد المسجّلين من الخمسماية طالباً وطالبة في السنة الأولى من الفرع الأول لوحده. هذه "الظاهرة" تستدعي برأينا، التوقف والتساؤل: من هم هؤلاء؟ وما هي دوافعهم لإختيار إختصاص بدون أفق مهني محدّد؟ وما هي توقعاتهم، إذاً، بعد أربع سنوات من دراسة اختصاص لا يحظى بالاعتراف الفعلي في مجتمعنا؟

للإجابة على تساؤلاتنا هذه توجّهنا الى طلاب وطالبات السنة الجامعية الأولى في قسم علم النفس المذكور نحاول ان نستكشف بعض صفاتهم السوسيو-ديموغرافية، ومن ثمّ رصد، دوافعهم وتوقعاتهم. واخترنا منهم عيّنة غير ممثّلة تألّفت من تسعة وسبعين شخصاً صدف وجودهم يوم الثلاثاء الواقع في 16 كانون الأول، 1998 الساعة الثامنة صباحاً في صف الرصيد الإجباري "مبادئ رياضية وإحصائية". ونحن اخترنا حصة الساعة الثامنة صباحاً لأننا افترضنا ان الطلاب الذين يسعون للحضور المبكر في قسم من كلية الآداب في الجامعة حيث الحضور غير إجباري، يولّون أمر دراستهم الجامعية الإهتمام الضروري، أو أنهم يبذلون، على الأقل، جهداً لتجاوز معيقات "إزدحام في السير" او "ظروف طارئة" أو غير ذلك من الحجج التي يتقدم بها طلاب، زملاءٌ لهم، لدى تأخرهم عن الإلتحاق بصفّهم في الوقت المحدّد*. أي، أننا نفترض أن أفراد العيّنة "المبكرة" في الحضور يأخذون دراستهم على محمل الجدّ، ربما اكثر من الفئة "المتأخرة". ويعزّز صحّة ما نقول إجابتهم على السؤال "كيف ستداوم على حضور المادة". إذ أجابت الأكثرية (69.9%) بـ"دائماً" وأجاب 26.5% منهم بـ "غالباً" والنسبة المتبقية التي لا تتجاوز الـ 4% أجابت بـ "أحياناً".

* تجدر الإشارة الى ان عدد الطلاب الذين حضروا صف المادة نفسها في اليوم السابق الساعة الحادية عشرة تجاوز المئتين والعشرين. أي ان الطلاب يتوافدون الى الصفوف تباعاً مع تقدم ساعات النهار حتى تغصّ بهم منافذ الصف - حتى لا نقول مقاعده التي لا يتجاوز عددها المئتين، بأي حال.

هذا، ونقدّم فيما يلي نتائج الإستمارة التي تصف أحوال أفراد هذه العينة والتي قام الطلاب أنفسهم بفرزها وتمثيلها بيانياً.

أولاً: الجنس والجنسية

بلغ عدد الإناث في هذه العينة السبعين، أي بنسبة 86.6% من العينة الإجمالية. وتميّز الغَلَبَة المطلقة للإناث التوزّع الجنسي في القسم برمّته. وتأنيث الكليات او الأقسام غير المهنية او التطبيقية في الجامعات اللبنانية (الوطنية والخاصة سواء بسواء) بات من الأمور المعروفة. وقد لاحظ "التقرير الوطني الى المؤتمر العالمي للمرأة المنعقد في بيجين عام 1995" هذه الظاهرة دون ان يعلّلها. ولعلّ بعض نتائج استمارتنا هذه تقدّم اشارات تسمح بصوغ فرضية في تفسيرها.

ومن بين افراد العينة ثلاثة فقط هم من غير اللبنانيين وواحد فقط من هؤلاء يستعين بالإنتساب الى الجامعة لتحصيل إقامته.

ثانياً: العمر والعمل المأجور

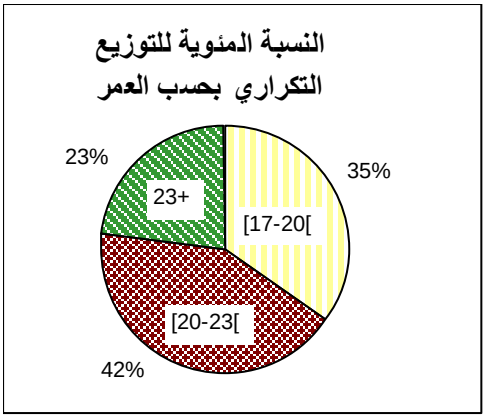

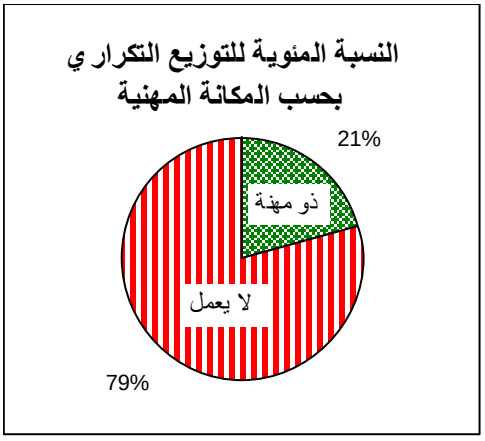

على إفتراض ان سن العشرين هو الحد العمري الأقصى لإنهاء المرحلة الثانوية فإن نسبة المستجوَبين في العينة في الفئة العمرية "[17, 20[لا تتعدّى الـ 35%. وتتمركز في الفئة العمرية التالية [20, 23[النسبة الأكبر 42%. مما يشير الى ان هؤلاء، اما لم ينتسبوا الى الجامعة - قسم علم النفس، تحديداً - فور إنهائهم تعليمهم الثانوي (أو المهني) أو أنهم تأخروا في الحصول على الشهادة التي خوّلتهم الدخول اليها.

اللافت أن ثمانية من اصل الرجال التسعة في العينة هم عاملون موظفون. وسبعة منهم في الفئة العمرية 23 فما فوق. أما النساء ذوات المهن، وعددهن سبعة من بين سبعين، فهن من النساء الأصغر سناً (ست منهن أقل من 23) - أي ان 88.5% من النساء في هذه العيّنة هن غير عاملات بأجر مع أن 36% منهن تخطّينْ سن الـ 21، المعبر الرسمي الى سن الرشد عندنا. ولعل

واحداً من أسباب مواظبتهم على الحضور هو عدم إرتباطهم بعمل ذي أجر، وأن العاملات من بينهن لا يمكنهن ذلك. لذا وجب التأكد من هذه النتيجة في عينة ممثِّلة.

ثالثاً: الحالة المدنية

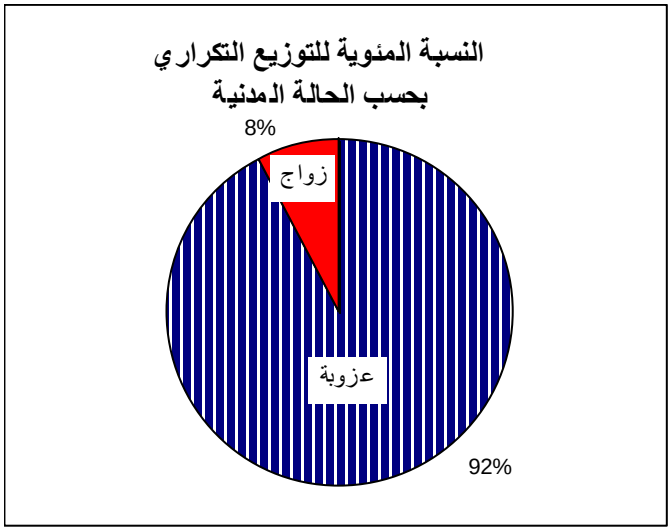

أكثر الطلاب والطالبات في العيّنة المدروسة مازالوا، وكما هو متوقع، "يتمتعون" بالعزوبة. يوجد رجل واحد متزوّج من أصل التسعة و خمس نساء متزوّجات من أصل السبعين . إثنتان فقط من المتزوجات هما دون الثلاثين. وهما من الحالات الإستثنائية، حالياً، في مجتمعنا اللبناني. فقد أشارت نتائج دراسة مسح السكان والمساكن التي نفّذتها "وزارة الشؤون الإجتماعية" بالتعاون مع "صندوق السكان للأمم المتحدة" والتي صدرت في تشرين الثاني من العام 1996، أن معدّل سن الزواج للنساء في لبنان قد ارتفع الى 27.5. وهو اقترب من الثلاثين في بيروت، العاصمة. ومن المفيد البحث عن ارتباط بين إقبال النساء على التعليم الجامعي وبين تأخر سن الزواج بينهن، والبحث، من ثمّ، في الشروط التي تجعل الواحد منهما (الإقبال والتأخر) مسبباً للآخر. أي، البحث فيما إذا كانت الشابة اللبنانية تنتسب الى الجامعة بغية ملء فراغ زمني يسبق الزواج، أم أنها لا تُقبل على الزواج قبل الإنتهاء من دراستها الجامعية. وما يبرّر التساؤل المدى العمري الواسع في العيّنة المدروسة مضاف اليه دوافع الإنتساب التي سنقوم بتحليلها لاحقاً.

رابعاً: الخلفية التعليمية

النسبة المئوية للتوزيع التكراري بحسب
الشهادة الثانوية التي خولت الطالب الإنتساب الى الجامعة

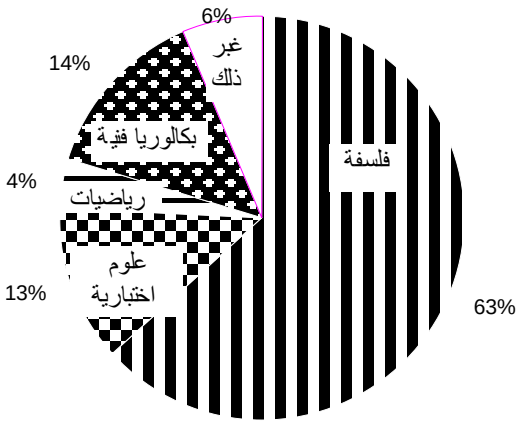

النسبة المئوية للتوزيع التكراري بحسب
نوع المدرسة الثانوية التي ارتادها الطالب قبل الإنتساب الى الجامعة

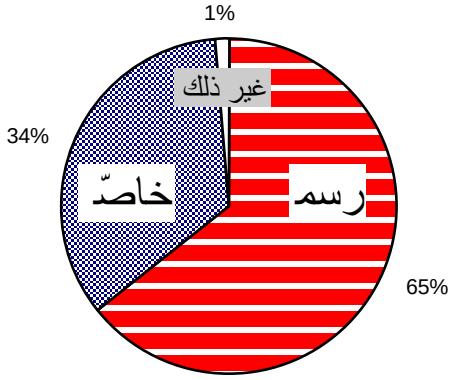

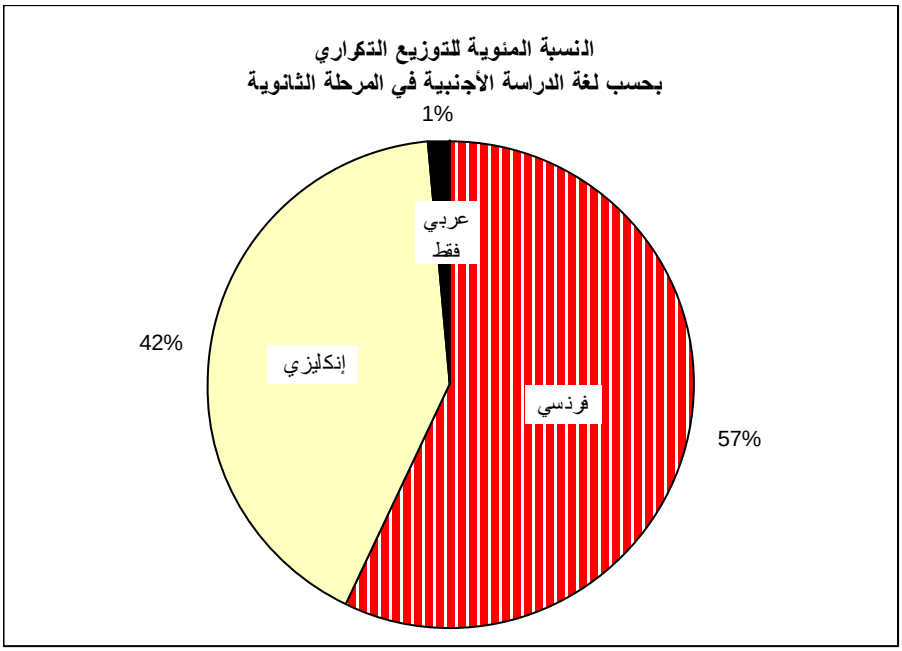

وكما هو متوقّع، فإن الشهادة التي خوّلت أكثرية المنتسبين والمنتسبات الى قسم علم النفس هي البكالوريا اللبنانية - الفلسفة (63%) تليها تواتراً

البكالوريا الفنية - التربية الحضانية، تحديداً (14%)، وثمّ العلوم الاختيارية (13%). أما النسبة الباقية فتوزعت بين الرياضيات وبين شهادات عربية لغير اللبنانيين.

والطلاب والطالبات المستجوبون قد ارتادت اكثريتهم (65%) المدرسة الرسمية، وكانت لغة الدراسة الثانية، إضافة إلى العربية للأكثرية (57%) هي الفرنسية والإنكليزية لـ 42% منهم. ومن بينهم طالب عربي واحد لا يتقن سوى العربية.

ونتوقف عند ظاهرة توسّع انتشار اللغة الإنكليزية بين طلاب علم النفس في الجامعة الوطنية والتي تتناسب طرداً مع تزايد المدارس الثانوية الرسمية التي تعتمد الإنكليزية لغة ثانية. هذا الإنتشار لا يوازيه انتشار شبيه بين اساتذة القسم الذين يتقنون الفرنسية لغة ثانية. (الجدير ذكره ان بعضهم يقوم، حالياً، بتعلّم الإنكليزية).

خامساً: السكن والمذهب

يقيم حوالى نصف الطلاب والطالبات (48%) في العينة المدروسة في مسقط رأسهم. اما النصف الباقي (52%) فيقيمون خارجه. وتتوزع الفئة الأولى بين بيروت والشوف. أما أفراد الفئة الثانية الذي يسكنون بيروت او الضاحية الجنوبية فتشير تذاكر هوياتهم إلى إقامة تتوزّع بين المحافظات الأخرى وينال الجنوب الحصة الكبرى منها.وان كانت العاصمة، تعريفاً، هي حاضنة لأبناء الوطن من كل المناطق والمشارب الا ان سمة العيّنة المذهبيّة لا تعكس ذلك. والتمثيل البياني لتوزّع المذاهب هو التالي:

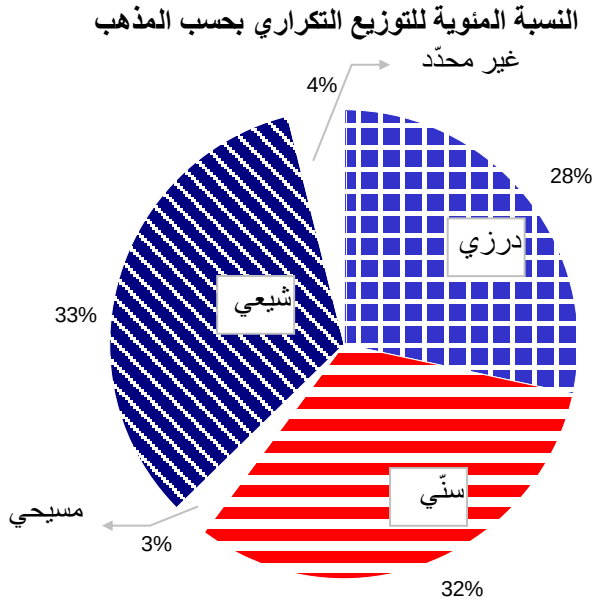

لكن ما رأي الطلاب في هذا اللون الواحد الفاقع؟

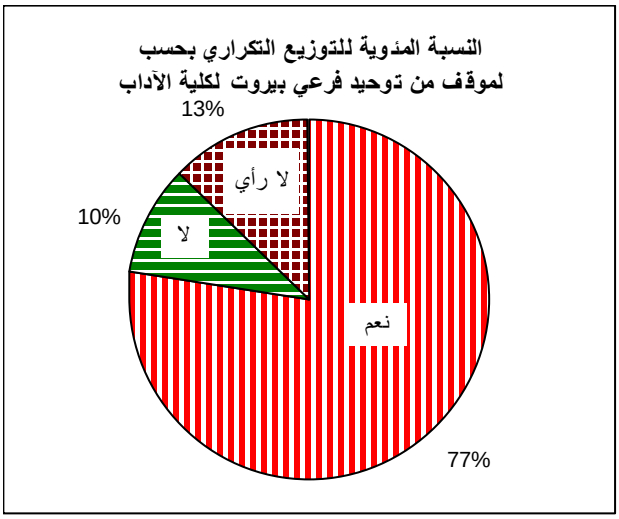

في الإستمارة سؤال يطالب الى المستجوبين تحديد موقفهم من توحيد فرعيْ كلية الآداب في بيروت. ولا يخفى ان الفرع الثاني للكلية يقع في شرق بيروت التي صنّفتها الحرب مسيحية بإمتياز. وقد أجاب 77% منهم بتحبيذهم التوحيد المذكور. الجدير ذكره ان الرجال - الطلاب كلهم، وبدون استثناء، حبّذوا التوحيد بينما جاء الرافضون كلهم من النساء - الطالبات. ولم يبدِ 13% منهن رأياً بشأنه بينما رفضته 10%. ومن الفئة الأخيرة من رفض التوحيد لأسباب عملية (إحداهن ذكرت المواصلات وخمس وجدن ان كثرة الطلاب تسبب إزدحاماً في الصفوف المزدحمة اصلاً!). إثنتان فقط ذكرتا سبب رفضهما للتوحيد تعصّب الطرف الآخر الطائفي. وعبّرت إحداهما بأنها "لا ترغب فيمن لا يرغب فيها!".

أما المحبِّذون لتوحيد فرعي بيروت لكلية الآداب فقد توزّعت أسباب خيارهم له بين العامّة، منها إلغاء الطائفية تحقيق الانصهار الوطني، توحيد الوطن، رفض تقسيم العاصمة، رفع شأن الجامعة الخ. أو لأخرى اجتماعية تتمثل بالرغبة في التعرف على "الآخر" أو توسيع دائرة المعارف والأصدقاء، وتبادل المعلومات والخبرات الخ. والملفت ان كل الرجال برّروا تحبيذهم، بينما بررت 37% من النساء فقط تحبيذهن. فأكثرية اللواتي أجبن به بـ "نعم" على السؤال "هل تحبّذ توحيد فرعي كلية الآداب في بيروت" لم يجبْن على السؤال لماذا؟ وقد أهمل 8.5% منهن الإجابة على السؤال نهائياً (او قلن لا أعرف، لا ادري الخ...).

جلّ طلاب عينتنا، إذاً، هم من الطائفة الإسلامية (في العينة مسيحية واحدة-مارونية، ومسيحي واحد- من التابعية السودانية) الا ان اكثريتهم يرغبون بالتوحيد مع الفرع الثاني للكلية، أي بالاختلاط مع المسيحيّين، وان اكتفى 57% منهم بتحديد الأسباب التي تدعوهم لذلك.

سادساً: دوافع الإنتساب والتوقعات

إختلطت الدوافع في اكثر إجابات افراد العيّنة بالتوقعات أو هي تكاملت معها. ويمكن تصنيف الإجابات على السؤالين في الإستمارة: "ما هي دوافعك للإنتساب الى قسم علم النفس؟" و"ما هي توقعاتك من هذا الإختصاص؟" الى فئات ثلاث:

الفئة الأولى: تتمحور **دوافع** الأفراد من هذه الفئة على اكتساب معارف أو مهارات خاصة لذاتها لأنها تساعدهم على فهم (او معرفة، أو اكتشاف) ذواتهم (19* إجابة) أو الآخرين و("الغوص" في نفسياتهم) (20 إجابة). والبعض منهم حدّد ان المعرفة هذه ستساعده في حلّ مشاكل الذات ومشاكل التعامل مع الآخرين (7 إجابات) او مساعدتهم (5 إجابات) أودراسة وتربية الأطفال، خاصة (6 إجابات). والأكثرية من هذه الفئة عبرت عن "حبّ"ها للمادة، وأكّد بعضهم أنها مادة مفيدة وجميلة وحتى ظريفة(!)، وأن سعيهم لدراستها هو بدافع الحصول على معرفة وثقافة ومعلومات فقط لا غير (29 إجابة). هؤلاء **يتوقعون** أن تتحقق دوافعهم فيخلصون الى معرفة الذات وإكتشافها او حلّ مشاكلها او على المقدرة على التعامل مع الآخرين، الأطفال منهم بشكل خاص، وعلى حلّ مشاكلهم وعلى تربية اولادهم في المستقبل.. اوان يكونوا قد اكتسبوا ببساطة معرفة وثقافة ومعلومات.

الفئة الثانية: دوافع هذه الفئة للإنتساب الى قسم علم النفس هي الرغبة في الحصول على شهادة جامعية (14 إجابة) او الحصول على مهنة (6 إجابات) تتوزع بين التدريس والعلاج النفسي أو تدعيم مهنتهم الحالية،(6 إجابات). وهؤلاء الأخيرون عاملون او عاملات في المجال التربوي. فهم إما مدرّسون او حادقات او مسؤولات في مؤسسات تأهيلية الخ. ويتوقّع هؤلاء أن يحصلوا على وظيفة او شهادة تتراوح بين الليسانس او الدكتوراه او ان يكتسبوا مهنة أو أن يدعموا مهنتهم الحالية.

الفئة الثالثة: بعض افراد هذه االفئة لا يملكون دوافع للإنتساب الى قسم علم النفس (3 إجابات) وبعضهم يعلنون ان انتسابهم إلى القسم جاء بعد استبعادهم من مجالات أخرى، فهو المجال الوحيد الذي أتيح لهم، أما لأنه لا يتطلب امتحان دخول، أو لأنهم لم "يُوفّقوا" في امتحانات الدخول الى اقسام أو كليات أخرى.

ومع ان إجابات الطلاب والطالبات من هذه الفئة لم تتعدّ الإحدى عشرة فإن التوقعات السلبية فاقت عدداً الدوافع الغامضة او غير المحدّدة. فحيث أعلن تسعة منهم بأنهم لا يملكون أية توقعات، او هم لا يعرفون ماذا يتوقعون، لم يقدِّم إثنان منهم أية إجابة بينما اعلن اربعة منهم أنهم لا يملكون أية توقعات

* مجموع الإجابات يتعدّى 79 (عدد افراد العينة) لأن بعض المستجوبين قدّم اكثر من إجابة.

مهنية معلّلين ذلك بأن ميدان علم النفس هو ميدان غير معترَف به في مجتمعنا اللبناني.

يمكن فهم موقف هؤلاء الطلاب والطالبات لدى تفحص إجاباتهم على سؤال في الإستمارة جاء على الشكل التالي: ما هي الأقسام أو الكليات التي حاولت الإنتساب اليها قبل انتسابك الى قسم علم النفس؟ وقد جاءت هذه الإجابات مثيرة للإهتمام:

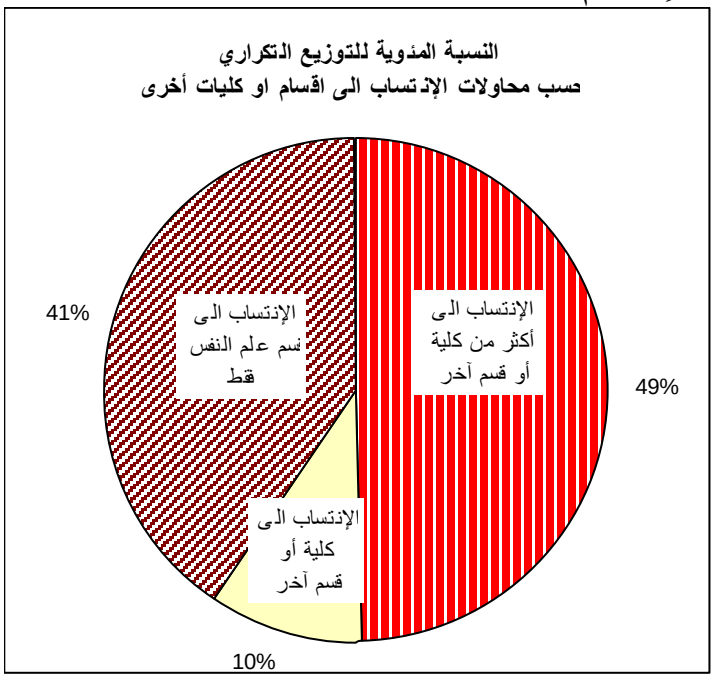

41% فقط من الطلاب و الطالبات المستجوَبين جاؤوا مباشرة الى قسم علم النفس و 49% من العينة حاولوا أن يتخصصوا في مجال آخر و10% حاولوا مجالين. هذه الإختصاصات تراوحت بين الأدب الإنكليزي او الأدب الفرنسي، التربية، العلوم الإقتصادية، الإعلام، إدارة الأعمال، الحقوق، الصحة، العلوم، الفنون وغيرها. أي، كليات يتطلب اكثرها امتحان دخول، وهم لم "يوفّقوا" فاختاروا هذا الإختصاص كحلّ بديل مُتاح.

هذه النتيجة تفسّر، ربما، نتائج أخرى منها غياب الدوافع والتوقعات المهنية لدى الأكثرية في عينتنا. (95 إجابة من اصل 111). فالإنتساب الى قسم علم النفس انما هو خيار بديل لخيار أوّل ذي افق مهني واضح (تدريس، محاماة، إدارة اعمال، صحافة الخ). وهو خيار سهل يجذب اليه "غير الموفّقين" في إمتحانات دخول إلى بعض الكليات أو الأقسام في الجامعة اللبنانية أو، أحياناً، جامعات خاصة أخرى. نذكّر أنّ هذه النتيجة تصف طلّابا في القسم يولّون أمر دراستهم أهميّة تعدو بهم للمداومة و الحضور باكرا. ونحن نفترض أنّ هذه النتيجة كانت ستكون، ربّما، أكثر تطرّفا في عيّنة أكبر أو أكثر تمثيلا.

هكذا تستوي السنة الأولى في قسم علم النفس في كلية الآداب مصبّاً لكل هؤلاء فتزداد أعدادهم تبعاً لإزدياد عدد الكليات او الأقسام في الجامعة اللبنانية التي تفرض إجتيازاً لامتحان دخول شرطاً للإنتساب اليها. وتتضخم أعداد

الطلاب في هذا القسم الذي يُعاني نقصاً في اساتذته فلا يحتمل التفريع أو التشعيب (توفي إثنان وأُحيل ثلاثة منهم على التقاعد في السنوات الخمس الأخيرة دون ان يتم استبدالهم بآخرين) وقصوراً في تجهيزاته الأوّلية (قاعات ومقاعد).

على ان المسألة الأكثر إثارة لإهتمام هي ان غالبية الطلاب والطالبات المستجوبين في العينة انستبوا الى قسم علم النفس بدوافع وتوقّعات لا- مهنية لكنها تصب بما يعينهم على إغناء ثقافتهم الخاصة سعياً لتدبير شؤون ذواتهم وأولادهم وأسرهم ومحيطهم. ونحن إذ نرى أن مساعي ودوافع هؤلاء الناس تملك مشروعيتها وأحقّيتها البديهيَين نجد، في المقابل أنها تطرح مشكلتَين، على الأقل:

المشكلة الأولى: وتتمثل بتضارب توجّهات هؤلاء مع التوجّهات الحديثة في دوائر وأقسام علم النفس في الجامعات في بلدان العالم كافّة والتي تتصف بالسعي نحو **التمهين** تلبية للحاجات المستحدثة للمجتمعات الصناعية والنامية سواء بسواء. ولا يشذّ قسم علم النفس في جامعتنا الوطنية عن ذلك، فهو تبّنى في الاقتراحات التي قدّمها لتعديل المناهج التوجّه المذكور صراحة.

المشكلة الثانية: وتنشأ من الثقل العددي لهذه الفئة من الطلاب الذي يولّد جواً لا يمكن إغفال أثره على القسم برمّته. وهو يتمثل بمظاهر من التفاوض المُضمر، والصريح أحياناً، بين الطلاب والأساتذة يهدف الى اختزال المادة حجماً ومضموناً والى صبغها بالصفة الذاتية، والتذمّر من تقديمها بصيغتها الحقيقية العلمية (كما يعلن اسمها) لعلّه ناجم عن إلتزام منقوص بها، وقناعة مهزوزة بجدواها. ويجد الاستاذ نفسه في هذا الجو في موقع دفاعي لمقاومة تدهور، لا قرار له، في مستوى أدائه. ولا ينفع، برأينا، رفع شعار "الاستاذ ملكٌ في صفه" الذي يحاول أن يفرض رؤية الأستاذ لما ينبغي ان يكون عليه الوضع الأكاديمي ومستواه في القسم. وذلك بسبب تخلّف الشعار أولاً. وبسبب عقمه الواضح ثانياً.

إن تدفّق الطلاب اللبنانيين الى أقسام علم النفس في الجامعة اللبنانية هو ظاهرة ينبغي الوقوف عندها. وإذا كانت دوافع اكثرية المنتسبين تتمحور حول أكتساب ثقافة خاصة فهي دوافع مشروعة وينبغي أن تستحوذ على اهتمام اساتذتها وانشغالاتهم للبحث في صيغة توافقية تحفظ تصوّراتهم لوظيفة القسم (التمهين، أساساً)، وتحفظ حق الناس في أكتسابهم للثقافة التي يتوخّون من جامعتهم الوطنية.

وقد تكون هذه الصيغة إطاراً موازياً يضمّ هؤلاء ولا يؤذي وظيفة القسم المتوخاة. هذا الإطار قد يكون تابعاً للجامعة أو قد يكون في إطار حلول أخرى تتلاقى مع أهدافها. ونذكر على سبيل المثال، لا الحصر، الإقتراح الذي طرحته في الإعلام "الحركة الإجتماعية" (المنظمة غير الحكومية) لإنشاء "جامعة بلا حدود" والتي تَسارَع اساتذة الجامعة اللبنانية، (ومنهم اعلام

مميّزة على الساحة الثقافية) للتبرّع في تسييرها، وحيث أن أهدافها تلتقي مع اهداف هؤلاء الطلاب. (أنظر السفير في 1997/10/20). فتشكل هذه الجامعة مجالاً رحباً لهم، ومختبراً أوّلياً يتفحص فيه، الواحد منهم، ميوله ودوافعه ويتعرّف فيها على اساتذة من الجامعات كلها ومن الإختصاصات المختلفة فيقرّر، بناء على اسس أكثر وضوحاً، إذا ما أراد أن يمتهن علم النفس، مثلاً، أم انه سيكتفي بإغناء ثقافته الخاصة من مناهله.